ولد بعد سيد درويش بـ 29 يوماً فقط

محمد القصبجي رائد الموسيقى الذي ظلمه التاريخ

جدد مع سيد درويش في نكهة الغناء العربي

لحن 182 طقطوقة منها «أنا قلبي دليلي» لليلى مراد و«امتى حتعرف» لأسمهان

بعد تسعة وعشرين يوما فقط من مولد سيد درويش ولد الفنان محمد علي ابراهيم القصبجي عام 1892، والذي اشتهر باسم محمد القصبجي وهو الفنان الذي اجمع الكثير من الكتاب والنقاد على انه لم ينصف في حياته الفنية المهمة ولم ينصف ايضا بعد مماته!

ان سيرة هذا المؤلف الكبير هي افضل فرصة لبيان فضله باعتباره مؤسسا لمرحلة واستاذا لجيل ومجددا ومفكرا موسيقيا ليس معروفا الا ضمن المحافل الموسيقية المتخصصة فيما يعرف الناس فضلا اكبر لمن يستحقون اقل.

وقد أنشئ في العاصمة التركية اسطنبول معهد للموسيقى باسم محمد القصبجي اعترافا بأهمية هذا الفنان وفي ايران غنت المطربة انموش في سبعينيات هذا القرن لحنه لام كلثوم «يا طير يا عايش اسير» والتي كان قد لحنها عام 1935.

والقصبجي عمل في تجديد الموسيقى العربية في ذات السنوات التي عمل فيها سيد درويش فالاثنان بدآ لدى موت سلامة حجازي معا عام 1917، وجددا معا في نكهة الغناء العربي، وتأثرا معا بالتراث الاوروبي الكلاسيكي في الموسيقى وادخلا التعبير في الغناء وطورا اللوازم الموسيقية وهي الفقرات الموسيقية التي تفصل بين الفقرات او الكوبليهات في الاغاني، وجعلاها جزءا مهما لا غنى عنه في البناء الموسيقي.

والقيمة الكبرى في الانتاج الموسيقي للفنان القصبجي تتضح في اهتمامه بتطوير نوعين من الغنائيات العربية، المونولوج والطقطوقة، وليس المقصود بهذا المونولوج ما اشتهر بذات الاسم وكان يغنيه كل من اسماعيل ياسين او ثريا حلمي الا وهو المونولوج الاجتماعي الانتقادي لكن المونولوج الذي اهتم بتطويره القصبجي هو ذلك النوع الذي ظهر في الغناء العربي عام 1915 وثبت احد اشكاله عام 1928 وهو نوع من التطوير للاغنية الايطالية المعروفة «باسم الآريا»، والتي نستمع فيها الى الفنانين الاوبراليين وتحفل بها الاوبرات العالمية.

محمد القصبجي

هذه الاغنية الخالدة الكبيرة هي من الاغنيات التي تستحق الدراسة في شكلها ومقاماتها هي نموذج كبير للمونولوج الذي لا تتكرر فيه اية الحان ويظهر صوت ام كلثوم هنا رائعا ثم متطورا للغاية يساعدها في ذلك لحن يطل على الاعماق الفكرية التي تجعل كثيرا من الالحان التي صاغها وابدعها القصبجي الحانا صعبة غير ميسورة الفهم للوهلة الاولى.

والمونولوج الثاني هو «منيت شبابي»، من تأليف احمد رامي ايضا وهو من فيلم نشيد الامل، وقد حاز شهرة كبيرة ايضا ويبدو ان نجاح هذا الفن قد شجع القصبجي على ابداع المزيد منه، مونولوجات كثيرة اعقبت ذلك مثل مونولوج ان كنت اسامح وانسى الاسية وايها الفلك على وشك الرحيل، وفين العيون اللي سبتني ويا اللي رعيت العهود، ثم يأتي بعد ذلك اشهر مونولوج عرفه الجمهور والذي شدت به الفنانة الراحلة اسمهان وهو مونولوج «يا طيور» والذي غنته عام 1941 وكتب كلماته يوسف بدروس وقد قام القصبجي بتلحين 43 مونولوجا غناها كل من صالح عبدالحي ومنيرة المهدية وفتحية احمد ونجاة علي.

مونولوجات القصبجي

ومن اشهر مونولوجات القصبجي والتي مازالت على شهرة مصرية وعربية كبيرة مونولوج «رق الحبيب»، من كلمات الشاعر الراحل احمد رامي والذي ذاب عشقا وولها وهياما في صوت ام كلثوم وترجم اشعار عمر الخيام من الفارسية الى العربية وعاش عمره كله من اجل العيش على نبرات صوت ام كلثوم.

القصبجي وأم كلثوم وعبدالناصر

القصبجي وفريد الأطرش وأم كلثوم

اما الابداع الثاني فهو الطقطوقة وهي من الاشكال الغنائية التي جاءت الى المنطقة العربية ومصر مع التراث التركي مثل الموشح والسماعي والبشرف وغيرها من الموروثات التركية وقد نجح القصبجي في عمل التطوير المناسب لهذا النوع من الغناء الذي وضعها في القالب الممتع فنيا.

الطقاطيق

لحن القصبجي 182 طقطوقة وهذا اكبر عدد من الطقاطيق التي قام بتلحينها ملحن واحد فقط في تاريخ الموسيقى العربية ومن اشهر تلك الطقاطيق «فرق ما بيننا» لاسمهان «بتبص لي كده ليه» لليلى مراد «امتى حتعرف» لاسمهان، «انا قلبي دليلي» لليلى مراد وقد اشتهرت هذه الطقاطيق عن طريق تقديمها في افلام سينمائية لكل من اسمهان وليلى مراد.

ومن الفنانات العربيات اللاتي غنين طقاطيق القصبجي كل من سعاد محمد، نور الهدى صباح، لورد كاش، وكان انتاج تلك الطقاطيق في الفترة ما بين 1944، و1948،

«رق الحبيب» لأم كلثوم من أشهر المونولوجات التي لحنها

والده كان منشداً ومقرئاً في حي عابدين بالقاهرة

عندما غنت سعاد محمد اثنين منها في فيلم فتاة من فلسطين الذي انتج عام 1948.

واخيرا فان محمد القصبجي هو ابن الشيخ علي ابراهيم القصبجي المنشد والمقرئ المعروف في حي عابدين كان يكتب النوتة الموسيقية لمؤلفي عصره ومغنيه تعلم ابنه الموسيقى العربية واتخذ علمها من منبعه الاول اي التجويد والموشحات، نشأ في بيئة اجتمعت عندها سلالات اصيلة من سلالات الفن العربي كان ابوه عوادا فذا وملحنا غنى له زعيم الغناء والطرب في القرن الماضي عبده الحامولي والشيخ يوسف المنيلاوي وسيد الطفطي وصالح عبدالحي وزكي مراد والد ليلى مراد ومحمد السنباطي.

كان هو العواد الاول في فرقة ام كلثوم وظل مصاحبا للفنانة الكبيرة حتى رحيله عن الحياة عام 1966 عن 74 عاما كان يتميز في عزفه على العود بالمقدرة الفنية والاحساس الوجداني والخيال التأليفي في التقاسيم وكان يقتني مجموعة كبيرة من الاعواد في بيته لا لحبه التحف فقط بل لانه كان باحثا نظريا وعلميا في الموسيقى العربية ايضا واخذ هذا العلم عن والده وصديق والده الملحن والعالم الموسيقي الشهير محمد كامل الخلعي الذي علمه كذلك الموشحات فلم يكن غريبا ان تكون للقصبجي آراؤه في صناعة العود.

رحم الله القصبجي الذي اثرى الغناء العربي بأروع الالحان واشجاها وحرك اوتار القلوب مع نغماته الخالدة.

يعزف على العود خلف أم كلثوم

القصبجي لحن لكبار الفنانين